ملاحظاتي على رسالة (النصيحة والبيان في الرد على أهل الإفراط في الأحكام)
للشيخ عبد الرحمن شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :فهذه بعض الملاحظات على ما جاء في رسالة الشيخ عبد الرحمن شاكر نعم الله المسماة (النصيحة والبيان في الرد على أهل الإفراط في الأحكام) وهذه الرسالة كتبها الشيخ للرد على جهالات بعض المسلمين من أهل الإفراط في تكفير المسلمين في مسألة التحاكم والتي جاءت في رسالة (الرد على زكريا) .

ولكن جاء في رد الشيخ عبد الرحمن حفظه الله من كل زلل ، بعض الزلات التي لا بد أن ينبه عليها مع ظننا به أنه ممن يرجعون للحق وليس ممن يتمادون في الباطل .

أقول للشيخ هداه الله وحفظه وثبته على الحق : لقد كنتُ في الماضي البعيد عندما أسألُ عما سيفعله المسلم إذا رُفعت عليه دعوة بغير حق في محكمة الطاغوت ، فكنت أجيب بأن له أن يجيب دعوة المحكمة ويدافع عن نفسه أمام القاضي . ولم أكن أعتبر ذلك العمل تحاكماً أو إرادة تحاكم للطاغوت مستنداً على حادثة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز وكذلك إجابة الصحابة لدعوة النجاشي للرد على ما قيل عنهم من طرف وفد مشركي مكة . وكنتُ اعتبر ذلك مجرد دفاعاً عن النفس ورداً للإفتراآت ، وليس تحاكماً ولا إرادة تحاكم للطاغوت ، فالكفر والشرك هو إرادة التحاكم أو التحاكم للطاغوت بنص الآية الكريمة . فالذي تكفره آية (النساء **60**) هو من أراد التحاكم للطاغوت ومن تحاكم له . أما من ذهب ليدافع عن حقه أو دينه أمام الطاغوت فهذا لا يسمى بحد ذاته تحاكماً للطاغوت ، لأن هذا العمل فعله يوسف عليه السلام أمام العزيز وفعله الصحابة رضي الله عنهم أمام النجاشي عندما دعاهم ليجيبوا على ما قال عنهم وفد قريش .

فالثابت في دين الله أن مجرد الدفاع عن النفس لا يعد تحاكماً سواء كان هذا أمام طاغوت أو غيره .

وكذلك ليس مجرد إجابة دعوة الحاكم الكافر للدفاع على الإفتراآت أو لتوضيح بعض الأمور يعد قبولاً لتحكيمه . والأدلة على ذلك كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، منها حادثة يوسف عليه السلام مع زوجة العزيز وحادثة الصحابة أمام النجاشي.

ولكن بعد أن تحرينا عن هذه المسألة وذلك بعد أن علمتُ من أحد الأخوة أنه عندما ذهب للمحكمة بعد استدعائه وَمثُل أمام القاضي قال القاضي للكاتب أكتب : حضر المدعى عليه فلان ودخل في التحاكم ثم بدأ يسأله . بعد هذه المعلومة كان الواجب علينا أن نبحث في هذه الواقعة وندقق في مهيتها أكثر، فكان ما توصلنا إليه كما يلي :

في قوانين اليوم القاضي الكافر الذي تصله شكاية من أحد ، يفرض عليه قانون الدولة قبل أن يحكم أن يعقد جلسة تحاكم بين المدعي والمدعى عليه . فهو بدوره قبل أن يحكم في القضية المرفوعة إليه يطلب من المدعى عليه أن يحضر ليدخل في التحاكم ، ثم له بعد ذلك أن يقول ما يريد قوله . ويُبَلغ المدعى عليه أنه إذا لم يحضر للتحاكم فسوف تقوم السلطات التنفيذية بإحضاره بالقوة أو يضطر القاضي أن يحكم بالقضية بدون حضوره وسيكون الحكم ليس لصالحه .

إذاً المسألة والواقعة هنا تغيرت ، فهي لا تشبه واقعة يوسف عليه السلام ولا واقعة الصحابة مع النجاشي ، أي هي ليست مجرد دعوة من القاضي للسؤال أو للدفاع عن النفس ، بل هي دعوة من القاضي بداية لقبول الدخول في التحاكم له ثم الدفاع عن النفس بعد ذلك . فدعوة القاضي هنا دعوة للتحاكم إليه بالرضا أو بالقوة .

فمن أجاب هذه الدعوة مع معرفته بماهيتها دون أن يصدر عنه أي رد لهذه المحكمة والتحاكم إليها فقد قبل التحاكم إليها ضمنا. فهذه الواقعة تختلف عن واقعة يوسف عليه السلام وكذلك واقعة الصحابة مع النجاشي . لهذا فمن عرف هذه الواقعة بهذا الشكل وأراد فقط أن يذهب للدفاع عن نفسه دون الدخول في التحاكم للقاضي فكان يجب عليه أن يبين ذلك بشكل واضح أمام القاضي ، أي يجب أن يحقق الشروط الذي ذكرناها في الفتوى وهي :

أن يقول لهم أنا لم آتِ للمحاكمة وإنما جئت لأجيبكم على بعض أسئلتكم وأنا لا أتحاكم إليكم ولا أقبل التحاكم إليكم ثم يجيب على ما يسألونه دون أن يصدر عنه أي فعل أو قول يظهر أنه يقبل بحكمهم أو التحاكم إليهم أو يطلب التحاكم اليهم .أي : أنه فقط يذهب إليهم معلنا البراءة منهم ويرد ما نسب إليه ثم يتركهم دون أن ينتظر حكماً أو يستمع للقاضي محترماً له مبجلا له حاضراً لجلسة المحاكمة ساكتاً مستمعاً لكلام القاضي منصتاً لجو المحكمة . فإذا لم يستطع فعل هذا فلا يذهب .

أما الذي لا يعرف ماهية وحقيقة هذه الدعوة من القاضي أو المحكمة ويظن أن ذهابه لهذه المحكمة هو فقط مجرد دفاع عن النفس دون قبول للتحاكم أو إرادة التحاكم ويعتبر هذا جائزاً شرعاً مستنداً على حادثة يوسف عليه السلام أو حادثة الصحابة أمام النجاشي ، فلا يكفر حتى تبين له الواقعة بشكل واضح كما بانت لنا . لهذا فأنا أعذر الشيخ عبد الرحمن على اعتباره أن مجرد الذهاب للمحكمة للدفاع عن النفس لا يعد تحاكماً ولا إرادة تحاكم ، لأنه لم يصله بشكل دقيق ما هي ماهية هذه الدعوة . فهو بداية معذور في هذا حتى يبين له حقيقة هذه الدعوة وماهية هذه المسألة والواقعة .

ولكن الذي أريد أن أركز عليه وأعتبرها زلة من الشيخ هداه الله هي إجازته الذهاب لمحكمة التميز .

حيث يقول الشيخ : " سابعا : قوله تعالى عن يوسف عليه السلام :

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42)﴾

قال ابن كثير في تفسير ذلك : لما ظن يوسف عليه السلام أن الساقي ناج قال له يوسف (أذكرني عند ربك) يقول أذكر قصتي عند ربك وهو الملك فنسى ذلك الموصى أن يذكر مولاه الملك بذلك ، وكان من جملة مكائد الشيطان لئلا يطلع نبي الله من السجن ا.هـ

وهذا الذي ورد النص به هو ما يعبر عنه في عصورنا الحالية (بالتماس إعادة النظر في الحكم) أو (استئناف الحكم) أو (التظلم من الحكم) لإثبات براءة من حكم عليه ظلما .. وهكذا. "

أقول ضياء الدين : إلتماس إعادة النظر في الحكم أو استئناف الحكم هو طلب حكم جديد من الحاكم وهذا لا شك فيه أنه طلب تحاكم . فالمسلم لا يطلب أي حكم من الكافر ليحكم طبق قوانينه ليحل الخلاف بينه وبين خصمه ، لأن هذا يعتبر قبول للتحاكم له وإعطاء الحق لغير شرع الله بأن يحكم بين المسلمين ، فهذا شرك أكبر ، لأن حق الحكم لله وحده .وليس هذا ما طلبه يوسف عليه السلام ، فلم يطلب عليه السلام إعادة النظر في الحكم ، أو استئناف الحكم . فكيف يطلب الحكم ممن يحكم بغير شريعة الله وباسم غير الله وهو الذي جاء على لسانه قوله تعالى : " إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " ؟

ولم يفهم الذي سينجوا من السجن أن يوسف عليه السلام طلب منه أن يسأل الحاكم أن يعيد (يستأنف) محاكمة يوسف عليه السلام . وإلا لأتهمه أنه يريد التحاكم للحاكم الذي يدعوا لرد وترك التحاكم إليه ، ولأتهمه أنه بذلك الطلب قد عبد غير الله حسب ما قرره هو نفسه عليه السلام لهما من قبل بقوله : " إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ . "

كل ما طلبه يوسف عليه السلام هو لفت نظر الحاكم أن هناك شخص صالح في السجن بدون أدنا ذنب أو محاكمة يجيد تعبير الرؤيا. وهذا ما يسمى في زمننا بالحجز تحت طائلة التحقيق ، قبل أن يحول للقضاء والمحكمة . وهناك من الأنظمة ما تحتجز الأشخاص في السجون سنوات وسنوات دون أن يوجه لهم أي إتهام أو تحويلهم إلى القضاء . ووضع يوسف عليه السلام كان هكذا ، وضع في السجن دون محاكمة ومات الحاكم ونُسي يوسف في السجن ، فأراد أن يلفت النظر لحاله . وهو يشبه حال من احتجزته المخابرات دون علم الحاكم أو مسؤول المخابرات أو المسؤول عنه فذهب وأخبر هذا المسؤول أو الحاكم بحاله أو طلب من أي شخص أن يخبر المسؤول أو الحاكم بحاله حتى يزيل عنه الظلم الواقع عليه . وليس هذا هو كالطلب من محكمة

أخرى (مثل محكمة الإستئناف) إعادة النظر في القضية والحكم وإعطاء حكم آخر ، كما يحدث في طلب الإستئناف في زمننا اليوم . فللاستئناف اليوم محاكم تسمى محاكم الإستئناف ، وظيفتها النظر في القضية المعترض على حكمها من قبل المحكوم عليه . وطلب المحكوم عليه من محكمة الاستئناف النظر مرة ثانية في القضية هو طلب تحاكم من هذه المحكمة بلا شك . فهو كأنه يقول لقاضي محكمة الإستئناف ما حكمت به المحكمة الفلانية ليس عدلاً حسب قوانينكم لهذا أطلب منكم أن تعيدوا النظر في هذه القضية وأن تحكموا أنتم فيها . فهو لا شك طلب تحاكم وحكم جديد حسب قوانين الدولة الكافرة . وليس مجرد طلب رفع مظلمة .

في ديننا يجوز لنا أن نستعين بالكافر لرفع الظلم عنها ، ولكن لا يجوز لنا أن تستعين به لرفع الظلم عن طريق التحاكم له . فالاستعانة شيء والتحاكم شيء آخر .

يقول الشيخ عبد الرحمن :

"ثامنا : ومن سورة يوسف أيضا في قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52)﴾ يوسف

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير ذلك :

يقول تعالى إخبارا عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه التي رآها بما أعجبه فعرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من ببلده من رعاياه فقال (ائتوني به) أي : أخرجوه من السجن وأحضروه (فلما جاءه الرسول) بذلك أمتنع عن الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته ونزاهة عرضه مما نسب

إليه من جهة امرأة العزيز وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا ف (قال أرجع إلى ربك) الآية . وقد وردت السنة بمدحه على ذلك والتنبيه على فضله وشرفه وعلو قدره وصبره صلوات الله وسلامه عليه . ففي المسند والصحيحين من حديث الزهري عن سعيد وأبي سلمه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي) وفى لفظ لأحمد : (لو كنت أنا لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العذر) وقال عبد الرزاق : بسنده عن عكرمة عن الرسول ﷺ :(ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ، ولكنه أراد أن يكون له العذر) هذا حديث مرسل .

قال ابن كثير عن تحقيق الملك في الموضوع وسؤاله للنساء : (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) أي قالت النسوة جوابا للملك : حاش لله أن يكون يوسف متهما والله ما علمنا عليه من سوء ، فعند ذلك : (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) قال ابن عباس وغيره تقول : الآن تبين الحق وظهر وبرز (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) ا.هـ

قال ابن كثير عقب ذلك الموقف وفى تعليقه على قوله تعالى (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ..) الآية

يقول تعالى إخبارا عن الملك حين تحقق براءة يوسف عليه السلام ونزاهة عرضه مما نسب إليه قال (ائتوني به أستخلصه لنفسي) أي أجعله من خاصتي وأهل مشورتي . ا.هـ

فهذه قضية قد دارت وقائعها منذ بدايتها في شأن الاتهام في العرض وعندما سنحت الفرصة بإعادة النظر فيها لم يضيعها نبي الله يوسف وكان يستطيع أن ينال حريته ومكانته بغير ذلك كله مقابل العلم والحكمة التي أظهرهما للملك في تفسير رؤياه حتى أن الرسول ﷺ قد أثنى عليه في ذلك الحرص على إظهار براءة عرضه وتأنيه فقال : (لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي) .

ولم يكن فعل يوسف أبدا في استئناف القضية وطلب إعادة النظر في وقائعها لإثبات براءة عرضه موضع مذمة إلا عند أولئك الذين أقاموا من أنفسهم حكاما على شريعة الرحمن وسنة المرسلين فخالفوا الصراط المستقيم . فنسأل الله لنا ولهم الهداية أجمعين ."

أقول ضياء الدين : لم تكن هناك قضية حتى يطلب يوسف عليه السلام إستئنافها ،ولم تكن هناك محكمة حكمت بسجنه حتى يطلب النظر في حكمها . وكل ما في الأمر أنه تم سجنه لطمس القضية وما حكم فيها من براءته وتورط امرأة العزيز ، وكذلك لإجباره من قبل امرأة العزيز لأن يفعل ما تريده . أنظر لقوله تعالى :

" وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (30)فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ (32) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34) ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ " (35) (سورة يوسف)أنظر تهديدها له بعد أن برأته :" قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ "

أنظر قوله تعالى :" وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ "

وقوله : " ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ "
قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : " يقول تعالى: ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه إلى حين ، أي إلى مدة ، وذلك بعد ما عرفوا براءته وظهرت الآيات ، وهي الأدلة على صدقه في عفته ونزاهته ، وكأنهم ــ والله أعلم ــ إنما سجنوه لما شاع الحديث إيهاماً أنه راودها عن نفسها وأنهم سجنوه على ذلك. ولهذا لما طلبه الملك الكبير في آخر المدة امتنع من الخروج حتى تتبين براءته مما نسب إليه من الخيانة. فلما تقرر ذلك ، خرج وهو نقي العرض صلوات الله عليه وسلامه. وذكر السدي أنهم إنما سجنوه لئلا يشيع ما كان منها في حقه ، ويبرأ عرضه فيفضحها. "
أقول ضياء الدين : فسجنه عليه السلام لم يكن ناتجاً عن الحكم في هذه المسألة وإنما جزاءاً له لأنه اعتصم ولم يطع إمرة العزيز فيما أرادت أو إيهاماً أنه راودها عن نفسها وأنهم سجنوه على ذلك . أو لئلا يشيع ما كان منها في حقه ، ويبرأ عرضه فيفضحها.
وعندما تذكَّر من نجا من السجن وحدَّث الملك عن يوسف عليه السلام ورجعوا إليه بتعبير رؤياه التي رآها بما أعجبه ، عرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من ببلده من رعاياه فقال (ائتوني به) أي : أخرجوه من السجن وأحضروه .
هذا عفو من الملك وليست تبرئه ، لهذا أمتنع يوسف عن الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته ونزاهة عرضه مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا . فليس هذا طلب إعادة تحاكم كما هو الحال في طلب الاستئناف ، وإنما هو طلب تحقيق في سبب السجن حتى يزيل كل إيهام بأنه كان بسبب خيانته لربه بمراودته إمرة العزيز عن نفسها .
وطلب التحقيق من جهة مختصة بذلك ليس تحاكماً لها وإنما لإظهار الحقائق .
ولم يحاكم يوسف عليه السلام مرة أخرى ولا طَلب محاكمة ومجازات من حبسه ظلماً كل هذه المدة . وكل ما أراده هو التحقيق في المسألة وسبب حبسه حتى لا يظل متهماً في أعين الناس والحاكم . ولا يظن الحاكم ولا الناس أن الحاكم قد تفضل عليه بأن

أخرجه من السجن بالعفو عنه أو مكافأة له على تعبير رؤياه . انظر لطلبه عليه السلام : " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ "

أليس هذا طلب تحقيق في المسألة فقط .؟

قال الشيخ : " تاسعا : ومن سورة يوسف أيضا ورد النص على قضية أخرى :

وذلك في قوله تعالى : فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (70) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (71) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (72) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (73) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (75) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (77) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78) ﴾ يوسف

فالظاهر أمامنا من نص الآيات : (الإعلان عن قضية سرقة) .

_ وتوجيه الاتهام لأشخاص محددين هم أبناء نبي الله يعقوب : (إنكم لسارقون)

_ واستجابة للاستدعاء والاستعلام عن تفاصيل الإتهام : (قالوا و أقبلوا عليهم ماذا تفقدون)

_ ثم بدأ مرحلة من الدفاع عن النفس والعرض (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين)

_ وإعلان عن عقوبة للسارق يوافق عليها الطرفين (الملك / والمتهمين) ولو ألزمهم الملك بعقوبة غيرها للزمتهم و لم يكن لهم عهد عنده بأن يحاكمهم إلى قوانين أو شريعة يعقوب

عليه السلام ولكن رحمة من ربك (قالوا ما جزاؤه إن كنتم كاذبين . قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه..)

_ ثم ثبوت التهمة وإنزال العقوبة بالسارق (ثم استخرجها من وعاء أخيه)

ـــ ثم الحكم واسترقاق الجاني

_ ثم مرحلة جديدة من طلب الرأفة أو إعادة النظر في الحكم بإلغاءه لظروف إنسانية واستعطاف الملك الحاكم (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين)

_ ورفض الطلب من قبل الحاكم:(قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون) . والطريف أن طلب الرأفة المتمثل في هيئة استبدال المتهم بغيره من إخوانه ،طلبا غير مشروعا مع المبدأ الشرعي الناص على (شخصية الجريمة والعقوبة) والمقرر في قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولكن وقع المصيبة على صاحبها وما يحيط بها من عوامل مؤثرة قد تدفعه إلى التكلم بما لا يجوز أو الخروج عن الوقار و الاعتدال ، بل قد تؤدى به أحيانا إلى درجة أشبه بالهزيان . فنسأل الله تعالى العافية.

فهذا نموذج كامل لقضية كاملة منذ لحظاتها الأولى وقد تضمنت الصورة جميع مراحل الدعوة منذ توجيه الاتهام أو الإدعاء ثم حضور المتهمين للإستعلام و الإستفسار عن تفاصيل الاتهام وحقيقته ثم مرحلة الدفاع عن النفس والعرض ثم ثبوت الإدانة وصدور الحكم ثم مرحلة أخيرة من طلب الرأفة أو تخفيف الحكم أو استبداله بحكم أخر يتمثل في (فخذ أحدنا مكانه) "

أقول ضياء الدين : نعم هي محكمة وسيحكم بها بشرع الله ، وأبناء يعقوب سألوه عن الحكم الذي سيحكم به فلما أجابهم عرفوا أنه يحكم بشرع الله وشرع أبيهم يعقوب عليه السلام فلم يعترضوا على ذلك .

ثم إن يوسف عليه السلام كان قد أعلن للناس أنه نبي الله ولم يحكم إلا بشرع الله ، أعلن ذلك وهو في السجن وبعد خروجه وطيلة حياته لم يحكم إلا بشرع الله وهذا قد

ثبت لإخوته فقبلوا أن يتحاكموا إليه . قال تعالى : " مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ "

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يرنا الحق حقا ويرزقنا إتباعه ويرنا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه . وآخر دعاوي أن الحمد لله رب العالمين

كتبها : ضياء الدين القدسي